

المهاجرين الجزائريين في البلاد التونسية خلال الفترة 1865-1881م

Algerian Migrants in Tunisia During the Period 1865-1881

1- أسماء شلغوم*، جامعة العربي بن مهيدي (أم البواقي)

chelghoum.asma@univ-oeb.dz

2- عيسى حمري، جامعة الجيلالي بونعامة (خميس مليانة)

a.hamri@univ-dbkkm.dz

تاريخ الاستلام: 2025 /04/22 تاريخ القبول: 2025 /05/19 تاريخ النشر: 2025 /06/05

ملخص:

تُعَدُّ قضية الهجرة الجزائرية إلى تونس من المسائل المهمة، إذ ارتبطت بعدة دوافع وخلفيات، فقد عرَّ البعْض هذه الهجرة إلى العامل الديني، حيث أفتى العديد من العلماء حول حكم خضوع المسلمين لحكم غير المسلم، في المقابل أرجع آخرون هذه الهجرة إلى السياسة الاستعمارية الاستيطانية التي فرضتها الإدارة الكولونiale الفرنسية على الجزائريين، من خلال سنّ مجموعة من التشريعات التي استهدفت حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية. وقد دفع هذا القمع الكثير من الجزائريين إلى مغادرة وطنهم، وكانت تونس واحدة من أبرز الوجهات، حيث أصبحت ملاذاً للوطنيين الجزائريين، الذين ساهموا في إثراء الحياة التونسية سياسياً واقتصادياً وثقافياً. فما الدوافع الحقيقية للهجرة الجزائرية إلى تونس خلال الحقبة الاستعمارية، وما مدى تأثيرها في المجتمع التونسي على المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية؟

كلمات مفتاحية: الهجرة، الفتوى، الإدارة الكولونiale، الإستيطان، التشريعات.

Abstract:

The issue of Algerian migration to Tunisia is a significant matter, as it is linked to various motives and backgrounds. Some have attributed this migration to religious factors, citing the opinions of numerous scholars regarding the ruling on Muslims living under non-Muslim rule. On the other hand, others have linked it to the French colonial settlement policy imposed on Algerians through a series of legislations that targeted their political, economic, social, cultural, and religious lives. This oppression forced many Algerians to leave their homeland, with Tunisia emerging as one of the main destinations. It became a refuge for Algerian nationalists who contributed to enriching Tunisia's political, economic, and cultural landscape.

Keywords: Migration, Fatwa, Colonial administration, settlement, legislation.

● مقدمة

تعددت الدوافع والخلفيات وراء هجرة الجزائريين إلى تونس، حيث أرجعها البعض إلى العامل الديني، مستندين إلى فتاوى العديد من العلماء بشأن قضية حكم الكافر لبلاد المسلمين، وكان من أبرز هؤلاء الأمير عبد القادر، الذي اعتبر الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام فريضة دائمة، مؤكداً وجوبها على كل قادر، كما رأى أن الهجرة من أرض الظلم والباطل ضرورة شرعية، وفي المقابل، رأى آخرون أن السبب الرئيسي للهجرة كان السياسة الإستعمارية الإستيطانية التي فرضتها الإدارة الكولونيالية الفرنسية على الجزائريين، من خلال سنّ مجموعة من التشريعات التي استهدفت حياتهم السياسية، الإقتصادية، الإجتماعية، الثقافية، والدينية، وقد أدى ذلك إلى نزوح أعداد كبيرة من الجزائريين خارج البلاد، وكانت تونس من أبرز الوجهات، حيث وجد فيها الوطنيون الجزائريون ملاذاً آمناً، وأصبحوا جزءاً فاعلاً في المجتمع، مسهمين في تطور الحياة التونسية على المستويات السياسية، الإقتصادية، والثقافية، وعلى هذا الأساس تسعى هذه الورقة البحثية لدراسة الوضعية العامة للمهاجرين الجزائريين في تونس خلال الفترة 1865-1881م. وعلى هذا الأساس جاءت ورقتنا البحثية لتعالج الإشكالية الآتية: فما الدوافع الحقيقية للهجرة الجزائرية إلى تونس خلال الحقبة الاستعمارية، وما مدى تأثيرها في المجتمع التونسي على المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية؟

يتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية:

-ما العوامل الطبيعية والسياسية، وكذا الإقتصادية التي دفعت الجزائريين إلى الهجرة؟
كيف أثرت الأوضاع السياسية والقانونية في تونس خلال الفترة 1865-1881 على أوضاع الجزائريين المقيمين فيها؟.

أهداف البحث:

-تحليل دوافع الهجرة الجزائرية إلى تونس خلال الفترة 1865-1881م، سواء كانت جغرافية أو سياسية، أو اقتصادية.

-تسليط الضوء على أوضاع المهاجرين الجزائريين في تونس، من حيث ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية.

-استكشاف دور الجزائريين المهاجرين في الحياة التونسية، ومدى تأثيرهم على المشهد السياسي، الاقتصادي، والثقافي.

-توضيح الأطر القانونية والإدارية التي تعاملت بها السلطات التونسية مع المهاجرين الجزائريين.
منهجية البحث:

-إعتمادا في هذه الورقة البحثية على المنهج التاريخي التحليلي، حيث يتم جمع وتحليل المعلومات من المصادر التاريخية المتعلقة بالهجرة الجزائرية إلى تونس. كما سيتم استخدام:
-المنهج الوصفي لرصد وتحليل أوضاع المهاجرين الجزائريين وأسباب هجرتهم.

1. الإطار المفاهيمي لمصطلح الهجرة:

1.1 التعريف اللغوي للهجرة:

الهجرة، بالكسر والضم. بمعنى الخروج من أرض إلى أخرى¹، في التأصيل اللغوي، تُشتق كلمة "الهجرة" من الفعل "هاجر" الذي يعني ترك الشيء أو الابتعاد عنه².
كما عرف البعض الآخر بأن الهجرة كلمة تعني التباعد، وهاجر أي ترك وطنه وهاجر، أي نقله من موطن إلى موطن آخر، والمهاجرة هي الهجرة، والمهجر هو المكان الذي يهاجر إليه³.

¹ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2007، المجلد: 01، ص 1675.

² حكيمة بولعشب، "الهجرة غير الشرعية: المفهوم والأسباب"، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة (الجزائر)، المجلد: 15، العدد: 01، 30-06-2021، ص 245.

2.1 التعريف الإصطلاحي للهجرة:

تعنى الهجرة بصفة عامة الانتقال من مكان إلى آخر، مع نية البقاء في المكان الجديد لفترة طويلة، وقد تكون هذه الهجرة من دولة إلى دولة، أو من قارة إلى قارة فتسمى هجرة دولية، وبشكل عام يشير مصطلح الهجرة إلى الحركة السكانية التي يتم فيها انتقال الفرد أو الجماعة من الموطن الأصلي إلى وطن جديد يختاره¹، وقد جاء في الآية القرآنية: "إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا"².

تنقسم الهجرة إلى نوعين: هجرة داخلية وهجرة خارجية. الهجرة الداخلية تشير إلى انتقال فرد أو عائلة أو مجموعة من مكان إلى آخر ضمن نفس الدولة³، فعل السبيل إشتدت الهجرة الداخلية بالجزائر ابتداء من سنة 1948 حيث بلغ فيها عدد سكان المدن إلى سكان الريف 22 بالمئة، ثم إرتفعت النسبة إلى ما يقارب 30 بالمئة سنة 1960⁴، أما المعنى الثاني فيشير إلى انتقال أفراد أو مجموعات من مكانهم الأصلي نحو مكان آخر، حيث يصبح هذا الأخير موطناً جديداً للإقامة الدائمة⁵.

³ أحمد محمد هشام الرس، الإعلام والهجرة غير المشروعة، المؤتمر العلمي الرابع، كلية الحقوق، جامعة طانطا، 23-24 إبريل 2017، ص 05.

¹ حورية ساعو، وزهيرة مزاره، "إشكالية الهجرة واندماج المهاجرين المغاربة في فرنسا"، المجلة الجزائرية للحقوق والعلوم السياسية، جامعة تيسمسيلت (الجزائر)، المجلد: 07، العدد: 01، 01-06-2022، ص 2، 3.

² (النساء: الآية 97).

³ ياسين حمودة، "الهجرة الجزائرية نحو فرنسا (الدوافع والمراحل) 1914-1962م"، دراسات، جامعة قسنطينة 2 (الجزائر)، المجلد: 08، العدد: 07، 13-02-2018، ص 54.

⁴ عبد القادر علي حليمي، جغرافية الجزائر الطبيعية-بشرية-اقتصادية، مطبعة الانشاء، ط: 2، دمشق، 1968، 137.

⁵ ياسين حمودة، المرجع السابق، ص 54.

2. أسباب الهجرة الجزائرية إلى تونس

1.1 الأسباب الطبيعية الجغرافية:

من بين الأسباب الرئيسية لحدوث الهجرة الجزائرية إلى تونس موقعها الجغرافي، إذ تقع شرق الجزائر وتشترك معها في الحدود الجغرافية حيث قاربت ألف وثلثمائة كيلومتر، كما أن إنفتاح المنطقة على الحدود وإنبساطها نسبياً زاد من سهولة إتصال المناطق الشرقية منها أكثر من المناطق الغربية¹، حيث تمتد من أم الطبول شمالاً من البحر الأبيض المتوسط ولاية الطارف حالياً، إلى تخوم الصحراء الكبرى جنوباً، كما تعتبر تونس ممراً للذهاب إلى المشرق العربي وليبيا ومصر والحجاز والشام، لذلك تزايد عدد المهاجرين إلى تونس تدريجياً خاصة بعد إحتلال فرنسا للجزائر، هذا ولا ننسى أنها كانت مقصد الجزائريين للدراسة بجامع الزيتونة، ظف إلى ذلك كون هذه الأخيرة تربطها بالجزائر وحدة الدين واللغة والتاريخ المشترك وتشابه حتى الأسماء والعادات والتقاليد والمصاهرة على الرغم ممن محاولة الإدارة الاستعمارية من إحداث التفرقة بين الشعب الواحد وإثارة النعرات والتفرقة².

ومن جهة أخرى ساهم التواصل بين الشعبين في الفترة الاستعمارية في إلغاء كل الحدود الجغرافية التي تفصل بين المنطقتين وخصوصاً مناطق الجنوب الشرقي الجزائري، والجريد التونسي والتي عبرت عنها التقارير الفرنسية بالإنصهار التام بين مختلف القبائل الحدودية الجزائرية والتونسية، وقد أكد ذلك أبو القاسم سعد الله أن مناطق الجنوب الشرقي الجزائري تتحرك بحرية حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، حيث كانت منطقة الزيبان والجريد ووادي ريغ وسوف تشكل وحدة متكاملة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والروحية والثقافية³.

¹ بشير مدني، مساهمة الجالية الجزائرية بتونس في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية 1830-1962، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله-بوزريعة(الجزائر)، 2014-2015، ص 27.

² مختار بوشيبة، الهجرة الجزائرية إلى تونس 1832-1962، دار الأوطان للثقافة والإبداع، الطبعة:1، الجزائر، 2018، ص ص 61-67.

³ رضوان شافو، "انعكاسات السياسة الاستعمارية على العلاقات بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1830-1954"، دورية كان التاريخية مؤسسة كان للدراسات والترجمة والنشر(مصر)، المجلد:09، العدد:34، 2016-12-31، ص 10.

2.1. الأسباب التاريخية والسياسية:

كان من الأسباب الرئيسية في حدوث الهجرة الجزائرية إلى المشرق(تونس)، إحتلال الجزائر سنة 1830 والذي تلاها فشل كل من مقاومتي الأمير عبد القادر (1833-1847)، وأحمد باي في مواجهة الإحتلال الفرنسي، وكذا سن الإدارة الفرنسية لترسانة من القوانين أسرعت من عملية الهجرة نحو البلاد التونسية خصوصا، والمشرق العربي عموما¹، لعل من بينها القوانين المتعلقة بالأراضي لعامي 1863 و1872²، حينما تم إغتصاب أراضي المسلمين من خلال نزع أراضي الفلاحين فصدورت أو بيعت للمضاربين الكولون الأوروبيين³، ولا ننسى أيضاً ما أحدثته والدعاية التركية والدعاية المناهضة للفرنسيين والرغبة في التخلص من قانون الانديجينا⁴، وعبي الضرائب وشدة صرامة النظام الغابي⁵، كما أن طبيعة الإحتلال في

¹ بشير مدني، المرجع السابق، ص 27-28

² Kamel Kateb, la gestion administrative de l'émigration algérienne vers les pays musulmans au lendemain de la conquête de l'Algérie(1830-1914), population, revue bimestrielle de l'institut national d'études démographiques, N :2, Paris, 1997, p 402

³ بشير مدني، المرجع السابق، ص 28.

⁴ صدر في فترة حكم الجمهورية الثانية في 24 أكتوبر 1870، من طرف حكومة الدفاع الوطني المجتمعمة بمدينة تور الفرنسية، وبمقتضى هذا القانون اكتسبت السلطة الإدارية اختصاصات وصلاحيات السلطة القضائية، وسقطت بذلك الضمانات المألوفة لحرية الأفراد بحجة المحافظة على الأمن، وهذه الاختصاصات يمكن إجمالها في: سلطة الحاكم العام في توقيع العقوبات دون محاكمة من أجل المحافظة على الأمن العام، الأخذ بمبدأ المسؤولية الجماعية، والفرد وحده لا يعنهم إذا ارتكب جريمة، بل كل سكان المكان المسئولون، سلطة المتصرفين الإداريين ورؤساء البلديات، بحبس الأشخاص ومصادرة أملاكهم دون حكم قضائي، وقد عارض هذا القانون لظلمه وإجحافه حتى من بعض الفرنسيين أنفسهم، وقد وصفه بعضهم، فقال: "أقصى إجراء في الوقائع الاستعمارية يمكن لقوة استعمارية أن تشنه للضغط على رعاياها، ولكنه في الوقائع الإنسانية يمكن اعتباره من بقايا العصور الوسطى ومحاكم التفتيش. أنظر: مزبان سعدي، "من مظالم السياسة الدينية الفرنسية في الجزائر 1830م-1870م"، حوليات الجغرافيا والتاريخ، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة(الجزائر)، المجلد: 2، العدد: 3، 30-04-2007، ص 56. نور الدين أبولحية، "الاستعمار الكلاسيكي وجرائمه في حق الشعوب الاستعمار الفرنسي للجزائر نموذجا"،

حد ذاته (نظام الحماية) قد سهل بشكل كبير الهجرة إلى هناك¹، حيث عاشوا بها جاليات متلاحمة ومتصاهرة، ومن تلك الأسر الجزائرية ذات الأصول السوفية أو التبسية أو البسكية... التي سافقتها ظروف الهجرة إلى تونس²، كانت الأراضي التونسية ملاذاً آمناً للمقاومين الجزائريين في الصحراء الجزائرية، حيث كانوا يأملون في تجديد المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي، فقد لجأ شيخ الحنانشة، محمد الحسنائي بن بلقاسم، إلى تونس بعد فشل مقاومة الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي، كما انسحب آخر سلاطين بني جلاب، سلمان بن علي الجلابي، إلى منطقة نفزاوة ثم إلى توزر في الجريد التونسي بعد سقوط إمارته واحتلال تفرت عام 1854، وتكرر نفس السيناريو مع المقرانيين، حيث انسحبوا إلى الجنوب الشرقي الجزائري ثم لجأوا إلى تونس بعد فشل مقاومة المقراني والحداد عام 1871، وفي أكتوبر 1870، ظهر محي الدين بن الأمير عبد القادر في الجهة الشرقية من تونس، حيث استقبل استقبالاً حافلاً وتم تكريمه في 18 نوفمبر 1870³، لذا كانت وجهتهم إلى تونس خاصة وأن هذه البلاد لم تتعرض إلى الإحتلال إلا بعد خمسين سنة من إحتلال الجزائر⁴.

3.1. الأسباب الاقتصادية:

يمكن إرجاع أسباب الهجرة إلى تونس إقتصادية قبل كل شيء، حيث وجد المهاجرون الجزائريون أن هناك ظروف معيشية أفضل مما كانت عليه في الجزائر، وكانت الضرائب هناك أقل ثقلاً⁵، على الرغم من أن مدينة الجزائر تملك عند غزو الفرنسيين، أملاكاً متنوعة وكثيرة،

مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الوادي، المجلد: 04، العدد: 17، 2018-06-02، ص 305، 306.

⁵ الجليلي صاري ومحفوظ قداش، المقاومة السياسية 1900-1954 الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص 50.

¹ بشير مدني، المرجع السابق، ص 28.

² خير الدين شترة، "الرحلات العلمية بين الجنوب الشرقي وتونس وأثرها في خصوصية التواصل بين المنطقتين"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي-الجزائر، المجلد: 03، العدد: 02، 2012-12-31، ص 72.

³ رضوان شافو، المرجع السابق، ص 10.

⁴ بشير مدني، المرجع السابق، ص 28.

⁵ Kamel Kateb, op.cit, p407.

كان بعضها للدولة، وبعضها للأوقاف وبعضها للأفراد¹، فكان أن إستولت عليها متبعة في ذلك سياسة البندقية والمحراث المطبقة من طرف الجنرال بيجو²، حيث إستطاع من خلالها أن يحول الضباط والجنود إلى فلاحين ومزارعين³، هادفة من وراء ذلك إلى جعل الأقلية الأوروبية تسيطر على الأغلبية الجزائرية، من خلال توطين عدد من السكان الأجانب ومناطق أوروبية أخرى، وذلك من أجل بناء شرعية جديد بشعار المهمة الحضارية، ولإدخال عدد كبير من الأوروبيين لترسيخ فكرة الإستعمار والسيطرة للأراضي الجزائرية⁴، حيث أودت هذه السياسة إلى هجرة عدد كبير من المواطنين الذين لم يتمكنوا من التكيف مع الوضع الجديد، أو الذين

¹ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء:1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص72.

² وُلِد الجنرال بيجو في عام 1784 في مدينة ليموج. تم تعيينه في عام 1806 برتبة ملازم ثانٍ في حرس نابليون الإمبراطوري، وفي عام 1814 انضم إلى الملكيين بعد هزيمة نابليون. تم إحالته إلى التقاعد برتبة عقيد بعد عودة الملكية ونفي نابليون. مع اندلاع الثورة في عام 1830، عاد بيجو لاستئناف خدمته في الجيش، حيث استعاد ثقته في لويس فيليب في عام 1833 وأصبح من المقربين في البلاط. في عام 1834، تمكن من قمع أعمال الشغب التي اجتاحت باريس. في عام 1836، أُرسِل إلى الجزائر حيث ساهم في قمع الثورة، وانتقد أساليب القادة الفرنسيين في محاربة المسلمين الجزائريين. في عام 1837، عقد الجنرال بيجو معاهدة التافنة مع الأمير عبد القادر، مما أتاح له التركيز على حرب باي قسنطينة. بعد ذلك، عاد إلى فرنسا، لكنه عاد مرة أخرى إلى الجزائر في عام 1841 حيث نظم عملية اجتياح البلاد. في عام 1843، مُنح لقب مارشال فرنسا تقديراً لخدماته في الجزائر، وفي عام 1844 انتصر على الأمير عبد القادر في معركة إيسلي، مما أدى إلى منحه لقب دوق إيسلي من قبل الحكومة الفرنسية. توفي بيجو في يونيو عام 1849 بسبب مرض الكوليرا. أنظر: بسام العسلي، مشاهير قادة العالم الماريشال بيجو 1784-1849، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة:2، بيروت، 1982، ص11، 12.

³ يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص9.

⁴ كريمة حرشوش، جرائم الجنرالات الفرنسيين ضد مقاومة الأمير عبد القادر في الجزائر من خلال أدبياتهم "1832-1847" (نماذج)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران-السانيا(الجزائر)، دس-ن، ص ص57، 58.

رفضوا هذه السياسة غير قادرين على مقاومتها¹، فقد إعتترف الفرنسيون منذ إحتلالهم الجزائر بأن المدن الجزائرية فقدت قسماً كبيراً من سكانها أما بالهجرة إلى المناطق الداخلية أو الهجرة خارج الحدود الجزائرية²، لذلك فقد وجد الفرد الجزائري نفسه أمام خيارين:

-العيش في بؤس مدقع تحت ضغط الإحتلال والإستغلال.

-الهجرة للبحث عن مكان آمن و لقمة عيش متوفرة³.

3. أوضاع المهاجرين الجزائريين في البلاد التونسية في الفترة 1865-

1881م

ربطت أغلب الدراسات الجزائرية الهجرة الجزائرية بالإحتلال الفرنسي، فعلى حسب المؤرخ بشير بلاح تعود أصول الهجرة الجزائرية إلى عام 1832، وهو العام الذي شهد فيه الجزائريون اضطهاداً غير مسبق من قبل فرنسا، حيث تعرضوا لعمليات إبادة وحشية، وفرض غرامات مالية باهظة، ومصادرات للأراضي. نتيجةً لذلك، قرر بعض الجزائريين الهجرة إلى تونس والمغرب⁴، حيث وفي السنة نفسها وبتوجيه من الشيخ المهدي وهو قاض سابق ينتمي إلى أحد شيوخ الطريقة الرحمانية " أكد على الهجرة، بحجة أن غزو الكفار كان وشيكاً، فقد حث مواطنيه على التخلي عن أرض ملعونة...فكان أن إستجاب عدد كبير من القبائل ولجئوا إلى سوريا⁵، ومن الذين أفتوا في ذلك أيضا الأمير عبد القادر إذ اعتبرها واجبة على كل قادر" إن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة، وكذلك الهجرة من أرض

¹عبد المالك خلف التميمي، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، عالم المعرفة، د-م-ن، نوفمبر 1983، ص26.

² حوريه طبعه، السياسة الاقتصادية الاستعمارية الفرنسية في عمالة قسنطينة 1870-1954م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة احمد دراية-أدرار، 2019-2020، ص174.

³ مزيان وشن، "سياسة الهجرة والتهجير أسلوب استعماري في الجزائر"، حوليات التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة(الجزائر)، المجلد:03، العدد:06، 31-12-2012، ص144.

⁴ بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، الجزء:1، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص ص 317، 318.

⁵ Octave Depont, Xavier coppolani, Les confréries religieuses Musulmanes, Typographie et lithographie adolphe jo imprimeur-libraire-éditeur, Alger, 1897, p 260.

الحرام والباطل بظلم وفتنة"¹، وهو نفس ما ذهب إليه كاتبه ابن رويلة في فتوته التي صرح فيها بضرورة الخروج من بلد يقيم فيه الكفار²، وفي هذا الصدد يذكر أبو القاسم سعد الله في كتابة أبحاث وأراء قائلا: "لو سألت احد المهاجرين الجزائريين خلال النصف الأول من القرن الماضي، لم تتوجه إلى المشرق بينما غيرك يتوجه إلى أمريكا بحثا عن الرزق والأمن والفرص، لربما قال بأنه يكفي أن يعيش في ارض الإسلام ويساكن أهل العروبة، إذ معهم هم الرزق والأمن والفرص..."⁴

يرجع المؤرخ عمار هلال أيضا أن بداية الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي وغيره كانت سنة 1832، وهي السنة التي إتضحت فيها نوايا السياسة الإستعمارية خاصة بعد تعيين روفيقو كحاكم عسكري عام للجزائر، إذ أثقل كاهل الأهالي بالضرائب⁵، في حين رجحت دراسات أخرى ومن بينها ما كتبه محمد بوطيبي أن الهجرة الجزائرية إلى البلاد التونسية تعود للقرن الثاني للهجرة كما يذكره محمد الطاهر

¹ خديجة مصدق، "موقف الأمير عبد القادر من الهجرة من خلال رسالته" حسام الدين لقطع شبه المرتدين"، عصور، جامعة وهران (الجزائر)، العدد: 12-13/14-15، 2008-2009، ص 136.

² أبو القاسم سعد الله، "قضية ثقافية بين الجزائر وفرنسا سنة 1843 موقف المفتي الكبايطي من الأوقاف واللغة"، عالم الفكر، تصدر عن وزارة الإعلام (الكويت)، المجلد: 16، العدد: 01، ، أفريل-ماي-جوان 1985، ص 263.

³ في حين نجد شخصية جزائرية عارضت هذه القضية وهو مصطفى الكبايطي حيث أفتى بعدم الهجرة من البلاد الإسلامية خاصة وان الفرنسيين لم يمنعوا المسلمين من العبادة وكون العامة في حاجة إلى العلماء ليعلموهم مبادئ الدين. أنظر: أسماء شلغوم ومحمد قن، "القاضي ومفتي المالكية مصطفى بن الكبايطي (1775-1860) وموقفه من بعض قضايا عصره"، مجلة البحوث التاريخية، جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر)، المجلد: 06، العدد: 02، ديسمبر 2022، ص 553.

⁴ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، الجزء: 04، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: 01، بيروت، 1996، ص 192.

⁵ عمار هلال، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1918)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 12.

بن عاشور¹ بأن المغاربة قصدوا الرحلة إلى المشرق منذ قدوم الشيخ سحنون² سنة 191هـ³، واشتغل علماءها بالأخذ لما رأوا من سعة علمه ونقده، فقد شكلت رحلة الجزائريين إلى القيروان جسوراً من العلاقات العلمية الثقافية، كابن رشيق المتوفى سنة 1071م الذي نزح صغيراً إلى القيروان، وعلى هذا الأساس فالهجرة الجزائرية نحو تونس على حسبه تعود إلى فترة بعيدة وليست مرتبطة بالإحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830، فقبل فرض الحماية على تونس هاجرت العديد من العائلات إلى تونس ففي رسالة لأحمد البدوي الورقلي شيخ الورقليين التي أرسلها إلى خير الدين سنة 1889م يذكر فيها بأن مسؤولية حراسة سوق العطارين قد أوكلت للورقليين منذ خمسة قرون، مما يدل على أن الهجرة الجزائرية إلى

¹ ولد الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في بيت جده لأمه، الوزير محمد العزيز بوعتور، والذي كان من تلاميذ محمد الطاهر بن عاشور الجد وذلك بضاحية "المرسى" في جمادى الأولى سنة 1216هـ/1879م، بدأ الشيخ يحفظ القرآن في سن السادسة على المقرئ محمد الخياري، كما أنه يتقلى دروساً في اللغة بمسجد سيدي أبي حديد، وفي سن الرابعة عشر التحق بجامع الزيتونة سنة 1310هـ/1892م، تقلد محمد الطاهر بن عاشور العديد من بينها: نجح في مناظرة لتدريس من الطبقة الثانية في 16 من ذي القعدة الموافق ل14 فبراير 1903، عين مدرساً بالمدرسة الصادقية في ذي الحجة 1322هـ/فيفري 1905م، سمي قاضياً ملكياً في 26 رمضان 1331هـ، الموافق 28 أوت 1913م حيث بقي في منصب القضاء عشر سنوات إلى أن أصبح في 27 رجب 1341هـ/15 مارس 1923 مفتياً ملكياً، توفي محمد الطاهر بن عاشور يوم الأحد 3 رجب 1313هـ الموافق ل29 أوت 1973م. أنظر: حجيب شيدخ، "محمد الطاهر بن عاشور وجهوده في إصلاح التعليم"، مجلة الحقيقة، جامعة أحمد دراية أدرار (الجزائر)، المجلد: 16، العدد: 02، 01-06-2017، ص 77-85.

² هو أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي من أسرة ذات علم وجهاد، فوالده محمد بن عمي بن سحنون كان قاضي قضاة معسكر في وقته وكان عمه ممن حضر في فتح وهران الأول سنة 1708م/1120هـ، من مواليد النصف الثاني من القرن الثامن عشر، نشأ بمعسكر وتعلم على يد الشيخ محمد بن عبد الله الجلاي مدير المدرسة المحمدية بمعسكر، توفي بعد عام 1796م/1211هـ أنظر: أحمد سلطاني، "فتح وهران ابن سحنون"، مجلة مالك بن نبي للبحوث والدراسات، جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)، المجلد: 02، العدد: 02، 30-12-2020، ص 03.

³ نفسه، ص 03.

تونس تعود إلى زمن بعيد جداً¹، إذ اقتضت الهجرة في البداية على أعيان البلد وعلمائها وأغنيائها²، نذكر على سبيل المثال لا الحصر عائلة أولاد عز الدين، فقد هاجر معظم أفراد العائلة إلى البلاد التونسية بعد انتهاء ثورة الزواغة وفرجيوة سنة 1865، وعائلة المقراني حيث وبعد قضاء الفرنسيين على ثورة المقراني عام 1871م³ (روابي، 2018، صفحة 365)، ثم توسعت بعد إشتداد السياسة الإستعمارية كرد فعل على المقاومات الشعبية لتشمل القرى والأرياف والمناطق النائية دون تمييز بين الأهالي سواء كانوا من الوجهاء أو عامتهم⁴

إن الهجرة إلى تونس كانت بشكل رئيسي من المناطق الشرقية مثل قسنطينة وبجاية ووادي سوف وغيرها، كما أن أهل ميزاب هاجروا إلى تونس لأغراض العلم والتجارة، بينما قصدوا أهل الوسط والصحراء للإقامة أو كمعبر للحج والعمرة والهجرة إلى المشرق⁵، فقد إستقر المهاجرون الجزائريون في مناطق الشمال التونسي مثل جندوبة، ماطر، باجة، وبنزرت، بالإضافة إلى تونس العاصمة، حيث يوجد حي في ريف سويقة يُعتبر شبه خاص بالجزائريين، وخاصةً سكان منطقة القبائل (زواوة)⁶، وإشتغلوا قبل فرض الحماية على تونس في ميدان التعليم لأبناء الوزراء مثل الشيخ الطاهر الجنادي الذي كان قبل هجرته شيخاً في زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي، ثم تولى الجنادي وظائف أخرى وتوفي في تونس،

¹ محمد بوطيبي، "الهجرة الجزائرية إلى البلاد التونسية خلال النصف لأول من القرن التاسع عشر"، مجلة الرصد العلمي، جامعة وهران 01-أحمد بن بلة (الجزائر)، المجلد: 07، العدد: 02، سبتمبر 2020، ص 7.

² يسمينة زمولي، علماء جزائر القرن التاسع عشر مسارات ومواقف، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة عبد الحميد مهري-قسنطينة 2 (الجزائر)، 2018-2019، ص 264.

³ العياشي روابي، "هجرة بعض العائلات الجزائرية الكبرى إلى البلاد التونسية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر"، مجلة التواصل في العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار عنابة، المجلد: 24، العدد: 53، جوان 2018، ص 365

⁴ يسمينة زمولي، المرجع السابق، ص 264.

⁵ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء: 5 (1830-1954)، در الغرب الاسلامي، بيروت، 1998، ص 490.

⁶ خير الدين بن شترة، المهاجرون الجزائريون الى البلاد التونسية، دار كردادة للنشر، الجزائر، 2013م، ص 1.

وتوظف آخرون في الصحافة وبعضهم في التدريس بالزيتونة مثل الشيخ محمد اللقاني، ومحمد بن عبد السلام وسلطاني ودخل بعضهم الحياة السياسية أمثال صالح بن يحيى وإبراهيم اطفيش وأحمد توفيق المدني وحسن القلائي¹، حتى أنهم عملوا في منازل الأثرياء، وفي الحمامات والمطاعم، وكذلك في المناجم. كما شغلوا وظائف كحراس ونوادل في المقاهي، بالإضافة إلى أعمال الشحن والتفريغ، خاصة في الموانئ، وكان استقرارهم وتمركزهم في تونس العاصمة، وتحديداً في مناطق مثل سوق العطارين، وسوق الكبابجية، ورأس الدرب، ورحبة الغنم، وشارع الزاوية البكرية والعلوية²، ومن خلال هذا فقد عرفت مدن ومدائر تونس موجات من المهاجرين الجزائريين خاصة بعد الصدمة الاستعمارية، ومع مرور الأيام، استقروا وأنجبوا جيلاً كان له دور بارز في الحياة السياسية والثقافية التونسية³، لينقسم المهاجرون بالعاصمة تونس من حيث الغاية إلى قسمين رئيسيين هما، القادمون من أجل البحث عن العمل، والقادمون من أجل طلب العلم والدراسة في جامع الزيتونة^{4 5}.

ونظراً لتزايد عدد المهاجرين الجزائريين وحسب تاريخ أول رخصة سفر في 28 جوان 1831 إنطلقت إدارة الاحتلال في مراقبة حركة الهجرة نحو الخارج، تم فرض هذه الرخصة على كل من يرغب في مغادرة التراب الجزائري من التونسيين والمغاربة والطرابلسيين. ففي عام 1851، تم منح رخصة سفر لكبير بن

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء: 5 (1830-1954)، المرجع السابق، ص 490.

² رضوان شافو، المرجع السابق، ص 10.

³ خير الدين يوسف شترة، "الهجرة الطلائية الجزائرية نحو جامع الزيتونة بتونس وأثارها على الحياة التعليمية بالجزائر خلال الفترة (1900-1962م)"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، المجلد: 05، العدد: 10، 10 ديسمبر 2019، ص 47.

⁴ جامع الزيتونة هو ثاني الجوامع التي أقيمت بافريقية بعد جامع عقبة بن نافع بالقيروان، نسب تشييده إلى عبيد الله بن الحبحاب وإلى هشام بن عبد الملك، كما ينسب إلى حسان بن النعمان فاتح تونس وقرطاجنة فيكون أمر بنائه لأول مرة عام 79هـ، وهذا هو الأرجح حسب أغلب المؤرخين. أنظر: سعد توفيق عزيز البزاز، تونس والجزائر (دراسة في التاريخ الحديث والمعاصر)، الطبعة: 1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2019، ص 17.

⁵ حسين الأسود، هجرة وادي سوف إلى تونس ونشاطهم بها خلال الفترة (1882م-1962م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المغربي الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف-المسيلة (الجزائر)، 2014، ص 69.

عمر، مع ملاحظة مكتوبة تفيد بأن: "صلاحيتهما تنتهي بخروج صاحبها من التراب الجزائري"، اتخذت السلطات الفرنسية من خلال منحها جوازات سفر تتعارض مع الأعراف والمواثيق الدولية، حيث يتم إصدار وثيقة جواز سفر تمثل السيادة لرعايا لا ينتمون إلى الجزائر، وقد كان الهدف من ذلك هو قمع المقاومة الجزائرية، كما تتضمن هذه الوثيقة معلومات أساسية، منها الإشارة إلى الجمهورية الفرنسية أو الإمبراطورية الفرنسية، حسب الفترة التاريخية السائدة في فرنسا، كما تحتوي على تصريح بالعبور، وتسجيل اسم صاحب الجواز، وأسماء المرافقين، ومهنته، ومكان ولادته وإقامته، والوجهة المقصودة، ووسيلة السفر سواء كانت برية أو بحرية، بالإضافة إلى مدة صلاحية الجواز ونوع الهجرة، سواء كانت دائمة أو مؤقتة، كما تشمل المعلومات الشخصية لحامل جواز السفر: العمر، الطول، لون الشعر، وأوصاف الوجه مثل الجبين، والذقن، والشم، والأنف، واللحية، بالإضافة إلى أي علامات مميزة مثل الوشم. يتم التوقيع على الوثيقة، وتُسجل في الخلف أماكن تنقلات المسافر مع تأشيرة القنصلية الفرنسية في البلد المعني. بلغت أعمار أغلب الجزائريين بين 20 إلى 40 سنة وأكثرهم من المزابيين الذكور، بينما هاجر أصحاب المناطق التلية رفقة عائلاتهم¹.

1.3. المهاجرين الجزائريين والقرار المشيخي 1865م

مع صدور القرار المشيخي في عام 1865، الذي منح الوافدين الجزائريين في تونس صفة الرعايا الفرنسيين، حصل المهاجرون الجزائريون على عدة مزايا، أبرزها الإعفاء من دفع ضريبة المجابي للسلطات البawية وعدم الخضوع للمحاكم الشرعية التونسية، كما شمل هذا القرار حماية جميع الجزائريين، بما في ذلك الوافدين بشكل غير شرعي أو الرافضين للعيش تحت سلطة المحتل أو المشاركين في المقاومة المسلحة والثورات التي شهدتها الجزائر بين عامي 1830 و1881، وبضغط من القنصل الفرنسي على باي تونس للاعتراف بمضمون هذا القانون الجديد، أصدر محمد الصادق باي² أمراً في سبتمبر 1865 اعتبر فيه

¹ أحمد بن جابو، المهاجرون الجزائريون ونشاطهم في تونس (1830-1954)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان (الجزائر)، 2010-2011، ص 158، 159.

² ولد محمد الصادق باي بن حسين بن محمود باي، في 7 فيفري 1813 ورث الحكم من أخيه بشكل طبيعي في 23 ديسمبر 1859، وهو الباي الثاني عشر من سلسلة الأسرة الحسينية الحاكمة في تونس منذ سنة 1705، وقد حصل على لقب مشير دون صعوبة، من السلطان العثماني مثل سابقه، ودام حكمه 22 سنة كاملة، كان الباي أقل أمية وجهلاً من أخيه، حتى أنه امتاز بالخمول الذهني والميل إلى الترف

الجزائريين رعايا فرنسيين بدلاً من كونهم رعايا الباى كما كانوا سابقاً، ومن خلال هذا الاعتراف، حصل المهاجرون الجزائريون في تونس على وضعية مميزة مقارنة ببقية المسلمين المقيمين في تونس، حيث لم يعودوا خاضعين لسلطة باى مسلم رغم وجودهم في نطاق سلطته السياسية. وبالتالي، أصبح يتعين على الوافدين الجزائريين في تونس تسجيل أنفسهم في دفاتر القنصلية الفرنسية للحصول على الجنسية¹، ونظراً لتوجه بعض المهاجرين الجزائريين إلى تبني الجنسية الفرنسية، وآخرين الجنسية التونسية رأى روستون²، يجب التخلي عن كل جزائري لا يستطيع إثبات ارتباطه بالجنسية الفرنسية بالأدلة، مما يعني أنه لن يحصل على الحماية الفرنسية في تونس، ومع ذلك، اتخذ خير الدين خطوات جديدة تتعلق بوضع الجزائريين في تونس، وهي تمثل إستمرارية للقرار الذي أصدره الباى في عام 1865، حيث نص هذا القرار على أن كل جزائري مسجل بشكل رسمي في سجلات القنصلية الفرنسية بتونس يجب عليه تجديد تسجيله للجنسية سنوياً، ليتم إعفاؤه من دفع المجرى ويعامل مثل الرعايا الفرنسيين ورعايا الدول الأوروبية، أما الجزائريون الآخرون، فستكون معاملتهم مشابهة لتلك الممنوحة للأهالي التونسيين، من خلال اتخاذ خير الدين لهذه الإجراءات، سيتم تقليل تدفق الجزائريين إلى تونس، مما يخدم مصالح فرنسا، وقد تم إصدار منشور إلى السلطات المحلية والجهوية لإبلاغ الجزائريين بالإجراءات الجديدة التي تتيح لهم الإختيار بين الجنسية التونسية والجنسية الفرنسية³، فمن يحبذ الجنسية التونسية ويقبل بالتقاضي في محاكمها الشرعية، فعليه أن يسجل اسمه بـدفاتر السلطات المحلية التي يقطن بـتراها، كما تضمنت التعليمات فتح دفتر خاص بالمجالس البلدية للجزائريين الذين يحبذون المحافظة على الجنسية الفرنسية، وحددت مهلة تنفيذ الإجراءات بثلاثة أشهر، ثم ترسل بعدها نسخة من كل دفتر للراغبين في

دون حدود، واتهم بضعف خلقه الديني، بسبب انقياده لهواه، ولمن يحلب له وسائل اللهو، حتى وقع أسيراً لبعض وزرائه الذين وفروا له كل ما يطلب، لكي يبقى بعيداً عن الحكم فأصبح قليل الاكتراث بشؤون البلاد تاركاً الاهتمام بالسياسة وحاجيات الناس إلى الوزير الأكبر وأعوانه. أنظر: عبد الجليل التميمي، الجيش التونسي في عهد محمد صادق باى (1859-1882)، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان-صفاقس، نوفمبر 1995، ص 65.

¹ أحمد بن جابو، المرجع السابق، ص 163، 164.

² السيد روستون Roustan فرنسي مكلف في تونس. أنظر: إيمان بوزراع، "دور الشركات الاستعمارية في استغلال خيرات الجزائر شركة بونة-قائمة انموذجا (1874-1914م)"، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، جامعة زيان عاشور-الجلفة(الجزائر)، المجلد:02، العدد:08، 10-12-2017، ص 286.

³ محمد جابو: المرجع السابق، ص 166، 167.

الحصول على الجنسية التونسية أو للراغبين في الحصول على الجنسية الفرنسية حسب رغبة كل جزائري¹.

غير أن موقف إدارة الاحتلال بالجزائر كان الرفض القاطع لهذه الإجراءات التي جاء بها خير الدين بحجة أن هذه الإجراءات تشجع الهجرة غير الشرعية للفارين من العدالة في الجزائر بتوافدهم إلى البلاد التونسية، كما قد تنجم بإقتراح وجهة نظره إلى الحكومة التونسية، تضمن منح الجزائريين مهلة معينة من الإقامة في تونس يكون لهم إحدى الجنسيتين الفرنسية أو التونسية، فقام روستون بإبلاغ خير الدين بإمهال الجزائريين مدة ثلاث سنوات تمكنهم من إختيار الجنسية، فمن غير المعقول أن يتم تجنيس الجزائريين الذين قاموا بارتكاب أعمال إجرامية في بلدهم الأصلي وفروا من قبضة العدالة، وافق خير الدين لإجراء تعديلات حول حالة الجزائريين بتونس، فأصبح على كل جزائري حل بالبلاد التونسية مطالب بإعلام السلطات الفرنسية عن وضعه القانوني، وذلك إما أن يكون ضمن الرعايا الفرنسيين أو يختار الجنسية التونسية، وإذا إختار الجنسية التونسية فعليه أن يدلي بمعلومات حول الحالة المدنية ويتحصل على الجنسية التونسية بعد سنتين، كما يتمتع بهذه الجنسية الأبناء الذين هم في كفالة المتجنس، أما المقيمون بالبلاد التونسية فيتحصلون على الجنسية في اليوم الذي يقدمون فيه طلبهم، وهذه التعديلات لا تتضمن القبائل والعشائر المهاجرة التي تكون حالتها في اتفاق مع السلطات الفرنسية، وكان موقف سلطات الاحتلال قبول إقتراح المدة الزمنية المحددة بسنتين في الحصول على الجنسية التونسية²، حيث وفي عام 1874م وتحت ضغط من السلطات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر والسلطات القنصلية في تونس، صدر مرسوم يسمح بإقامة الجزائريين بشرط أن يكون لديهم تصريح سفر موقع من قبل

¹ نفسه، ص 166، 167.

² محمد جابو: المرجع السابق، ص 168.

السلطات الفرنسية في الجزائر¹، وقد جاء هذا المرسوم نظرا لتخوف الإدارة من خطر هذه الظاهرة، لتبدأ بذلك إستخدام كل الوسائل لمنعها².

بدأت أول عملية إحصائية عام 1876، حيث شملت العمالات الجزائرية الثلاث عكس ما كان عليه منذ بداية الإحتلال سنة 1830 وإلى غاية 1870، وكان أن أشرف على هذه العملية المسئولون العسكريون، حيث تم التركيز فيها على عدد الرجال والنساء والأطفال الذين توافدوا من مختلف المناطق نحو البلاد التونسية³ (بن جابو، 2010-2011، صفحة 170)، وجاء في السجل الذي يحمل قائمة إسمية تعدادها 1725 مهاجرا مسجلين على النحو التالي، 937 مسلم جزائري، 640 يهودي جزائري، 42 آخرين من مختلف الجنسيات⁴ (بوطيبي، الجالية الميزابية السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تونس خلال النصف الأول من القرن العشرين، 2019، صفحة 57) فهذه الإحصاءات الرسمية الصادرة بالجزائر، قابلها إحصاء من القنصلية الفرنسية لعامة بتونس سنة 1876 إحتوى على عدد الجزائريين المسجلين بالقنصلية المتحصلين على شهادة الحماية الفرنسية⁵.

قسم المهاجرين إلى البلاد التونسية سنة 1876، الذين كانوا قد تجمعوا في طوائف وحسب الجهات التي هاجروا منها، حيث تحكمت العلاقات بين الأشخاص والعادات والتقاليد والأنساب على النحو التالي⁶:

¹ Abdelkrim Mejri, "être « maghrébin musulman » immigré en Tunisie depuis la conquête de l'Algérie jusqu'à la veille de la deuxième guerre mondiale (1830-1937)", **journal historique algérien**, université de M'sila-(Alger) , N :04, Septembre 2017, P298.

² أحميده عميرواي وآخرون، أثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري 1830-1954، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 51

³ محمد بن جابو، المرجع السابق، ص 170.

⁴ محمد بوطيبي، "الجالية الميزابية السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تونس خلال النصف الأول من القرن العشرين"، الباحث، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، المجلد: 11، العدد: 01، 01-30-2019، ص 57.

⁵ محمد بن جابو، المرجع السابق، ص 170.

⁶ مختار بوشيبة، المرجع السابق، ص ص 74، 75.

الجدول الأول:

النسبة المئوية	العدد	الجاتيات
7.79	73	السوفيين
5.01	47	العنابيين
4.48	42	القسنطينيين
1.92	18	العاصميين
1.06	10	الوهرانيين
0.96	9	المزابيين
0.53	5	سكان المدينة
0.42	4	الورقليين
0.32	3	البلديين
100	211	المجموع

المرجع: محمد بوطيبي، "الهجرة الجزائرية إلى البلاد التونسية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر"، المرجع السابق، صفحة 13.

وعليه فقد كانت أوضاع الجزائريين المهاجرين قبل فرض الحماية 1881 أيسر نسبياً على أوضاعهم من المرحلة، فقد خضعت أوضاعهم في المرحلة التي تلتها للأحكام القانونية والإدارية التونسية التقليدية السائدة في تونس في عهد البايات الأتراك الذين كانوا بها، وهو نظام شبيه بالنظام الذي كان سائداً في الجزائر قبل الإحتلال الفرنسي لها، وغالبا ما كان معروفاً في الأنظمة الإسلامية والمذهب الحنفي على وجه الخصوص المتبع من طرف الأتراك في شتى المعاملات المالية والاقتصادية كالنقود والمقاييس وباقي القواعد المعاملات الأخرى مثل القضاء، كما كان النظام يخضع إلى سلطة الباي ثم يليه القائد على

مستوى البلديات، فوجد الجزائريون سهولة في التكيف معه للإستقرار بها فساعدتهم على ذلك وحدة اللغة والدين والتقاليد والتاريخ المشترك، وأواصر القرابة والمصاهرة وحسن المعاملة وتشابه الأسماء، وعليه فالنظام السياسي بها على رأسه "الباي التركي" شبيه بالنظام الإداري والقضائي والتشريعي والتعليمي الذي كان سائدا في الجزائر، مثل نظام الكتاتيب والزوايا ونظام الزكاة والوقف... فوجد المهاجرون الجزائريون بعض التسهيلات فاستأجروا الأرض وتملكوها وقاموا بفلاحتها ومارسوا نشاط تربية المواشي وناقسوا الأقليات التي كانت تقيم بتونس كالإيطاليين والمالطيين واليهود وحتى الفرنسيين...¹

وبموجب إتفاقية باردو للحماية سنة 1881 مع باي تونس، منحت فرنسا بموجب هذه الإتفاقية ممارسة تونس إدارة صورية تتولى شؤون رعاياها من التونسيين ومن في حكمهم، لهم جواز سفر تونسي وجنسية تونسية لرعاياها دون بقية السكان الآخرين بما فيهم الجزائريين بحجة أنهم فرنسيون مسلمون، فوفق هذه الإتفاقية إختلف المهاجرون الجزائريون عند خضوعهم إلى إدارة مزدوجة فرنسية تونسية إلى ثلاثة فئات:

- الفئة الأولى: وهي الفئة الغالبة التي قررت عدم التقرب إلى الإدارة الفرنسية والتسجيل بها وإستخراج وثائقهم باللغة الفرنسية رغم منحهم بعض الحوافز والمغريات لعدم الثقة بها، علما منهم بنوايا الإدارة الكولونيالية فابقوا بأنفسهم تحت الإدارة التونسية يدرسون بمدارسها ويستخرجون وثائقهم منها، حتى أن الكثير منهم لجئوا إلى تغيير أسمائهم تخفيا من السلطات الفرنسية الملاحقة لهم، وإفلات من متابعتها مع بقاء إنتسابهم إلى مناطقهم بالوطن الأم كالسوفي، والسطيفي، البجاوب والبسكري، والزواوي (نسبة إلى بلاد القبائل إلى قبيلة زواوة) والنموشي إلى قبيلة الشاوية وغيرها من المناطق خاصة وان هذه الفئة متابعون قضائيا من السلطات الفرنسية من قبل².

- الفئة الثانية: وقد رأت هذه الفئة أن مصالحها تقتضي التقرب من الإدارة الفرنسية ربما للتوظيف، تسجيل أولادها بها وبمدارسها باللغة الفرنسية لحماية مصالحها، حيث تصبح تخضع لما يخضع له الفرنسيون للحصول على وظائف والأولوية على التونسيين والاستفادة من عدة إمتيازات.

¹ مختار بوشيبة، المرجع السابق، ص ص 74، 75.

² مختار بوشيبة، المرجع السابق، ص ص 74، 75.

- الفئة الثالثة: تأرجحت هذه الفئة بين الأولى والثانية فسجلت أولادها بالعربية لدى الإدارة التونسية وسجلتهم في نفس الوقت في الإدارة الفرنسية للاستفادة من مزايا الإدارتين، وهناك من لم يسجل نفسه أبدا وعاش على هامش الإدارتين حتى استرجعت الجزائر سيادتها سنة 1962¹.
نظرا لتزايد عدد المهاجرين وتخوف المستعمر الفرنسي من ظاهرة الهجرة، طلب المقيم العام سنة 1893 من شيوخ المذاهب الأربعة بمكة إصدار فتوى بهذا الشأن من أجل إقناع الجزائريين بعدم الهجرة، وقد استغلت فرنسا هذه الفتوى المؤيدة لوجهة نظرها إلى أبعد الحدود²، إلا أنه وخلال هذه الفترة تزايدت سرعتها أكثر³.

خاتمة:

من خلال هذه الورقة البحثية التي خصصت للمهاجرين الجزائريين في البلاد التونسية خلال الفترة 1865-1881م نخلص إلى جملة من النتائج:

- ✓ تعدد العوامل الجغرافية الطبيعية من أبرز الأسباب التي دفعت الجزائريين إلى الهجرة نحو تونس، فالموقع الجغرافي لتونس شرق الجزائر، والحدود المشتركة، سهّلت حركة التنقل بين البلدين، كما أن الطبيعة المنبسطة للحدود، خاصة في المناطق الشرقية، عززت هذا التواصل.
- ✓ أدى الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830، وفشل المقاومات الشعبية مثل مقاومة الأمير عبد القادر وأحمد باي، إلى هجرة الجزائريين نحو تونس، خاصة مع فرض فرنسا قوانين قاسية، مثل قوانين الأراضي 1863 و 1873، التي صادرت ممتلكاتهم، كما شكلت تونس ملاذًا للمقاومين الجزائريين، مثل المقرانيين و بني جلاب، حيث استقروا فيها هربًا من القمع الفرنسي وسعيًا لإعادة تنظيم المقاومة.
- ✓ ساهمت السياسات الاقتصادية الإستعمارية الفرنسية، مثل مصادرة الأراضي وفرض الضرائب الباهظة، في تدهور الأوضاع المعيشية للجزائريين، مما دفع الكثير منهم إلى الهجرة نحو تونس، حيث كانت الظروف الاقتصادية والمعيشية أفضل، والضرائب أقل ثقلًا، مما جعلها ملاذًا للفارين من الفقر والاستغلال الإستعماري.

¹ نفسه، ص ص 74، 75.

² أحميده عميراوي وآخرون، المرجع السابق، ص 51

³ Sari Djilali, Les Villes precoloniales de l'Algérie occidentale nédro ma mazouna kalaa, S.N.E.D, 1969, p147.

✓ واجه المهاجرون الجزائريون في تونس ظروفًا معيشية متنوعة، حيث إستقروا في مدن مثل تونس العاصمة، باجة، جندوبة، وبنزرت، وعملوا في مجالات متعددة، منها التعليم، الصحافة، التجارة، والعمل اليدوي كالحرف والموائ والمطاعم، كما ساهموا في الحياة الثقافية والدينية، حيث إلتحق بعضهم بجامعة الزيتونة طلبًا للعلم، بينما إندمج آخرون في الحياة السياسية التونسية، ومع تزايد أعدادهم، فرضت السلطات الفرنسية إجراءات مراقبة صارمة على هجرتهم، من خلال نظام رخص السفر التي تضمنت معلومات دقيقة عن المهاجرين ومساراتهم.

✓ يُظهر القرار المشيخي لعام 1865، الذي منح المهاجرين الجزائريين في تونس صفة الرعايا الفرنسيين، كيف إستخدمت فرنسا سياساتها الإستعمارية لهيمنة على الجالية الجزائرية في الخارج، فقد منح القرار إمتيازات عديدة للجزائريين في تونس، مثل إعفائهم من بعض الضرائب وعدم خضوعهم للمحاكم الشرعية التونسية، لكنه في الوقت ذاته فرض عليهم التسجيل لدى القنصلية الفرنسية، مما جعلهم عمليًا تحت الوصاية الفرنسية.

✓ ظهرت خلافات بين فرنسا وتونس بشأن وضعية هؤلاء المهاجرين، خاصة مع محاولات خير الدين باشا وضع قوانين جديدة تحد من تأثير فرنسا عليهم، كالزام الجزائريين بتجديد تسجيلهم سنويًا واختيار جنسيتهم، هذا الصراع السياسي كان له أثر كبير على هوية الجزائريين في تونس، حيث انقسموا إلى فئات مختلفة: بعضهم تمسك بالجنسية التونسية، بينما فضل آخرون الاستفادة من الامتيازات الفرنسية، في حين بقي البعض بين هذا وذاك.

✓ أدى التدخل الفرنسي المتزايد، خاصة بعد فرض الحماية على تونس عام 1881، إلى تعقيد وضعية الجزائريين هناك، مما جعلهم خاضعين لإدارة مزدوجة تونسية-فرنسية، وأجبر الكثير منهم على إخفاء هويتهم الحقيقية أو التكيف مع النظام الاستعماري لضمان استمرارهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بتونس.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم

الكتب باللغة العربية:

1. البزاز سعد توفيق عزيز، تونس والجزائر (دراسة في التاريخ الحديث والمعاصر)، الطبعة:1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2019.
2. بسام العسلي، مشاهير قادة العالم الماريشال بيجو 1784-1849، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة:2، بيروت، 1982.
3. بلّاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر، الجزء:1، دار المعرفة، الجزائر، 2007.

4. بن شطرة خير الدين، المهاجرون الجزائريون الى البلاد التونسية، دار كردادة للنشر، الجزائر، 2013م.
 5. بوشيبة مختار، الهجرة الجزائرية إلى تونس 1832-1962، دار الأوطان للثقافة والإبداع، ط1، الجزائر، 2018.
 6. بوعزيز يحي، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
 7. التميمي عبد الجليل، الجيش التونسي في عهد محمد صادق باي (1859-1882)، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان-صفاقس، نوفمبر 1995.
 8. حليمي عبد القادر علي، جغرافية الجزائر الطبيعية-بشرية-اقتصادية، مطبعة الانشاء، ط:2، دمشق، 1968.
 9. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء:04، دار الغرب الإسلامي، الطبعة:01، بيروت، 1996.
 10. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء:1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
 11. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء:5 (1830-1954)، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998.
 12. صاري الجيلالي وقداش محفوظ، المقاومة السياسية 1900-1954 الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.
 13. عميرايي أحמידه وآخرون، أثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري 1830-1954، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
 14. هلال عمار، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1918)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- الكتب باللغة الأجنبية:

1. Kateb Kamel, la gestion administrative de l'émigration algérienne vers les pays musulmans au lendemain de la conquête de l'algérie (1830-1914), population, revue bimestrielle de l'institut national d'études démographiques, N :2, Paris, 1997.

2. Depont Octave, Xavier coppolani, Les confréries religieuses Musulmanes, Typographie et lithographie adolphe jo imprimeur-libraire-éditeur, Alger, 1897.
3. Djilali Sari, Les Villes precoloniales de l'Algérie occidentale nédroma mazouna kalaa, S.N.E.D, 1969.

القواميس:

1. أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2007، المجلد:01.

المقالات:

1. أبولحية نور الدين، "الاستعمار الكلاسيكي وحرثه في حق الشعوب الاستعمار الفرنسي للجزائر نموذجاً"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الوادي، المجلد:04، العدد:17، 02-2018-06.
2. بوذراع إيمان، "دور الشركات الاستعمارية في استغلال خيرات الجزائر شركة بونة-قالمية انموذجاً(1874-1914م)"، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، جامعة زيان عاشور-الجلفة(الجزائر)، المجلد:02، العدد:08، 10-12-2017.
3. بوطيبي محمد، "الجالية المزابية السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تونس خلال النصف الأول من القرن العشرين"، الباحث، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، المجلد:11، العدد:01، 30-06-2019.
4. بوطيبي محمد، "الهجرة الجزائرية إلى البلاد التونسية خلال النصف لأول من القرن التاسع عشر"، مجلة الرصد العلمي، جامعة وهران 01-أحمد بن بلة(الجزائر)، المجلد:07، العدد:02، سبتمبر 2020.
5. بولعشب حكيمة، "الهجرة غير الشرعية: المفهوم والأسباب"، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، جامعة 20 أوت 1955(سكيكدة)، المجلد:15، العدد:01، 30-06-2021.
6. حمودة ياسين، "الهجرة الجزائرية نحو فرنسا (الدوافع والمراحل) 1914-1962م"، دراسات، جامعة قسنطينة 2(الجزائر)، المجلد:08، العدد:07، 13-02-2018.
7. رواجي العياشي، "هجرة بعض العائلات الجزائرية الكبرى إلى البلاد التونسية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر"، مجلة التواصل في العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار عنابة، المجلد:24، العدد:53، جوان 2018.

8. ساعو، حورية، ومزارة، زهير، "اشكالية الهجرة واندماج المهاجرين المغاربة في فرنسا"، المجلة الجزائرية للحقوق والعلوم السياسية، جامعة تيسمسيلت (الجزائر)، المجلد:07، العدد:01، 01-06-2022.
9. سعد الله أبو القاسم، "قضية ثقافية بين الجزائر وفرنسا سنة 1843 موقف المفتي الكبايطي من الأوقاف واللغة"، عالم الفكر، تصدر عن وزارة الإعلام (الكويت)، المجلد:16، العدد:01، ، أفريل-ماي-جوان 1985.
10. سعدي مزيان، "من مظالم السياسة الدينية الفرنسية في الجزائر 1830م-1870م"، حوليات الجغرافيا والتاريخ، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة (الجزائر)، المجلد: 2، العدد:3، 30-04-2007.
11. سلطاني أحمد، "فتح وهران ابن سجنون"، مجلة مالك بن نبي للبحوث والدراسات، جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)، المجلد:02، العدد:02، 30-12-2020.
12. شافو رضوان، "انعكاسات السياسة الاستعمارية على العلاقات بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1830-1954"، دورية كان التاريخية، مؤسسة كان للدراسات والترجمة والنشر (مصر)، المجلد:09، العدد:34، 31-12-2016.
13. شترة خير الدين يوسف، "الهجرة الطلابية الجزائرية نحو جامع الزيتونة بتونس وأثرها على الحياة التعليمية بالجزائر خلال الفترة (1900-1962م)"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، المجلد:05، العدد:10، 10 ديسمبر 2019.
14. شترة خير الدين، "الرحلات العلمية بين الجنوب الشرقي وتونس وأثرها في خصوصية التواصل بين المنطقتين"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي-الجزائر، المجلد:03، العدد:02، 31-12-2012.
15. شلغوم أسماء وحن محمد، "القاضي ومفتي المالكية مصطفى بن الكبايطي (1775-1860) وموقفه من بعض قضايا عصره"، مجلة البحوث التاريخية، جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر)، المجلد:06، العدد:02، ديسمبر 2022.
16. شيدخ حبيبة، "محمد الطاهر بن عاشور وجهوده في إصلاح التعليم"، مجلة الحقيقة، جامعة أحمد دراية أدرار (الجزائر)، المجلد:16، العدد:02، 01-06-2017.
17. مصدق خديجة، "موقف الأمير عبد القادر من الهجرة من خلال رسالته" حسام الدين لقطع شبه المرتدين"، عصور، جامعة وهران (الجزائر)، العدد:12-13/14-15، 2008-2009.
18. وشن مزيان، "سياسة الهجرة والتهجير أسلوب استعماري في الجزائر"، حوليات التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة (الجزائر)، المجلد:03، العدد:06، 31-12-2012.

المقالات باللغة الأجنبية:

1. Mejri Abdelkrim, "être « maghrébin musulman » immigré en Tunisie depuis la conquête de l'Algérie jusqu'à la veille de la deuxième guerre mondiale (1830-1937)", journal historique algérien université de M'sila(Alger), N :04, Septembre 2017.

الأطروحات ورسائل الماجستير:

الأطروحات:

1. بن جابو أحمد، المهاجرون الجزائريون ونشاطهم في تونس (1830-1954)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان (الجزائر)، 2010-2011.
2. زمولي يسمينة، علماء جزائر القرن التاسع عشر مسارات ومواقف، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة عبد الحميد مهري-قسنطينة2(الجزائر)، 2018-2019.
3. طبعه حوريه، السياسة الاقتصادية الاستعمارية الفرنسية في عمالة قسنطينة1870-1954م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة احمد دراية-أدرار، 2019-2020.
4. مدني بشير، مساهمة الجالية الجزائرية بتونس في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية1830-1962، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله-بوزريعة(الجزائر)، 2014-2015.

رسائل الماجستير:

1. الأسود حسين، هجرة وادي سوف إلى تونس ونشاطهم بها خلال الفترة (1882م-1962م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المغربي الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف-المسيلة(الجزائر)، 2014.
2. حرشوش كريمة، جرائم الجنرالات الفرنسيين ضد مقاومة الأمير عبد القادر في الجزائر من خلال أدبياتهم"1832-1847"(نماذج)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران-السانيا(الجزائر)، دون سنة نشر.

المؤتمرات:

1. الرس أحمد محمد هشام، الإعلام والهجرة غير المشروعة، المؤتمر العلمي الرابع، كلية الحقوق، جامعة طانطا، 23-24 إبريل 2017.